الحزن
في القران الكريم

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في تفسير وعلوم القران الكريم

اسم الباحث

عمرو نافع مطر العمري الحربي

تحت إشراف الأستاذ الدكتور

خالد نبوي حجاج

جامعة المدينة العالمية

كلية العلوم الاسلامية– تفسير وعلوم القران الكريم

العام الدراسي :سبتمبر 2012

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

الى والدتي الغالية الكريمة

ام سلطـــــــان

الى والدي الكريم رحمه الله

أ.نافع بن مطر العمري

الى اخواني واخواتي الكرماء

وبالأخص

ابو حمزة، ابو ريان، ام نواف، ام فارس

عبـــدالله

الى زوجتي الحبيبة...

اتقدم لها بالشكر الخاص لمساعدتها لي في تجهيز البحث وكتابته

مقدمة الخطة

1–عنوان البحث : (الحزن في القران الكريم) .

2– اهمية الموضوع

عدم الركون الى الاحزان والاوهام من خلال التوكل على الله والالتزام بالطاعات والصبر على المصائب.

3– اسباب اختيار الموضوع

كثرة الأحزان بين الناس والتشكي المستمر من ضيق الاحوال وقلة الامكانيات وفقد الاحباب والانقياد خلف اهواء الشيطان والمحرمات من اجل اذهاب الاحزان والاستمتاع بقضاء الاوقات في معصية الله عز وجل.

4– أهداف الموضوع

من خلال بحثنا المصغر نود التذكير بآيات الله في القران الكريم التي ذكر فيها الحزن وعلاجه من خلال تفسيرها تفسيرا موضوعيا والحصول على الفوائد من الآيات.

منهج البحث

جمع الآيات القرآنية التي ذكر فيها الحزن وتفسيرها تفسيرا موضوعيا والحصول على الفوائد من الآيات. وتعريف الحزن علميا ونفسيا.

تقسيمات البحث

1-المقدمة

2- الابواب

3- الفصول

4- الخاتمة

5- المراجع

6- الفهرس

الدراسات السابقة:

الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم، قُدّمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين 2009م.

للأستاذ/ إبراهيم عبدالرحيم محمد مصطفى.

وقد استفدنا من هذه الرسالة الكثير وبالذات في مفهوم الحزن ودلالاته النفسية

فنتقدم بالشكر للأستاذ إبراهيم عبدالرحيم مصطفى على ما قدمه في هذه الرسالة.

المقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد اذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى.

ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير قال تعالى(إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيم) سورة التوبة40

تطرقنا في موضوعنا الى الحزن في القران الكريم وما هذه الآية السابقة الا دليل على قوة التوكل على الله من سيد البشر محمد ابن عبدالله عليه افضل الصلاة واتم التسليم في غار حراء عندما خرج من مكة المكرمة مهاجرا الى المدينة المنورة ومرافقه الصحابي الجليل ابو بكر الصديق رضي الله عنه وارضاه والكفار قد خرجوا في طلبهم وكانوا واقفين على اعتاب الغار وطمس الله على اعين الكفار وارسل الله جنودا لم تروها وانزل سكينته على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى الصديق ابو بكر رضي الله عنه وارضاه ونجاهم من اعدائهم الكفار.

لن نطيل ونفصل في المقدمة وسنبدأ موضوعنا في معرفة ما هو الحزن علميا ونفسيا وعلاجه.

الباب الاول

مفهوم الحزن ودلالته النفسية

اولا: تعريف الحزن لغة واصطلاحا

اتفقت معاجم اللغة على ان الحزن هو : نقيض الفرح ، وخلاف السرور[1] ويأتي بمعنى الهمّ[2] ، وذلك أن الحزن غالبًا ما يقترن بالهمّ والغمّ . كما يأتي بمعنى : خشونة الشيء

قال ابن فارس : " الحاء والزاي والنون ، أصل واحد ، وهو خشونة الشيء وشدّة فيه "[3] .

وهذه الخشونة والشدّة تحصل في النفس بسبب الهمّ والغمّ.

قال تعالى:(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) (34) سورة فاطر، أي الغم[4]

أما اصطلاحا : فقد تركزت تعريفات العلماء للحزن على الجانب النفسي منه ، وليس على آثاره الظاهرة فقط . قال رشيد رضا : " الحزن : هو ضرب من آلام النفس يجده الإنسان عند فوت ما يحب "[5] . وعرّفه النسفي بأنه : " ألم القلب بفراق المحبوب "[6] .

---

[1] انظر : ابن منظور : لسان العرب . ج 13 ص 111 . الجوهري : الصحاح . ج 5 ص 2098 . الرازي : مختارالصحاح . ص134

الزبيدي 174: تاج العروس . ج 9 ص

[2] انظر : الفيروز آبادي :القاموس المحيط . ج 4 ص 215 . البستاني : قطرالمحيط . ج 1 ص 396

[3] ابن فارس : معجم مقاييس اللغة . ج 2 ص 54

[4] الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن . ص 123

[5] رضا : تفسيرالقرآنالحكيم . ج 6 ص 387

[6] النسفي : مدارك التنزيل وحقائق التأويل . ج 3 ص 7 . وانظر : أبوالسعود : إرشاد العقل السليم . ج 3 ص 370 . الطبرسي مجمع البيان . ج 4 ص 23

وعرّفه رشيد رضا بتعريف جامع فقال : " الحزن ألم يلمّ بالنفس عند فقد محبوب أو امتناع مرغوب أو حدوث مكروه[١].

ثانيا: الحزن عند علماء النفس

عرّف الدكتور محمد عبد العليم الحزن بأنه : مشاعرٌ عاطفيةٌ لا تمس مقدرات الإنسان الأخرى ، وأنه رد فعل لظرف سلبي[٢].

وأحيانًا يطلق علماء النفس الاكتئاب على الحزن[٣]. ومعلوم أن الاكتئاب انفعال يختلف عن الحزن ، لكن قد يلتقي به في مرحلة متقدمة من الحزن.

وقد فرّق الدكتور محمد عبد العليم بين الاكتئاب وبين الحزن بأن الاكتئاب : " جملة من الأعراض التي تفقد الإنسان فعاليته وتؤثر سلبًا على عواطفه وتفكيره وتواصله ، وحتى قيمته كإنسان [٤] .

وحيث إن الحزن انفعال اعتيادي في حياة الفرد بشكل عام ، بل وانفعال واقعي متعدد الأسباب رأينا أن علماء النفس لم يتعمقوا في تعريفه أو توصيفه كما فعلوا مثلا مع انفعال الخوف أو الغضب أو القلق.

---

[١] رضا : تفسير القرآن الحكيم . ج 7 ص 371 . وانظر : الزحيلي : التفسير المنير . ج 7 ص 182 . الميداني : معارج التفكر . ج10 ص 723

[٢] مقال على الانترنت للكاتب عبدالعليم محمد , بعنوان" : لماذا يأتي على بعض الناس أحوال يحبون فيها الحزن؟.انظر:
http://www.islamweb.net/ver2/istisharat/details2.php?reqid=274294

[٣] مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه ، بعنوان " الاكتئاب " . انظر http://ar.wikipedia.org/wiki

[٤] مقالعلىالانترنتللكاتبمحمدعبدالعليم ، بعنوان: "لماذايأتيعلىبعضالناسأحواليحبونفيهاالحزن؟.انظر

http://www.islamweb.net/ver2/istisharat/details2.php?reqid=274294

ومن أهم مسببات الحزن[1] :

١. القلق الشديد من المستقبل.

٢. تعرض الفرد أو أحد أفراد الأسرة أو الأصدقاء إلى حادث أو وفاة أو إصابة بمرض.

٣. الهاجس النفسي : وهو الحزن بدون سبب.

٤. العقل الباطني وذلك من خلال مشاهدة الفرد أو سماعه لمشهد أو لخبر محزن ، وهذا حزن مؤقت سرعان ما يزول.

ثالثا: اقسام الحزن

بالنظر إلى ما يخالط الحزن أو ينتج عنه يمكن تقسيمه إلى قسمين هما:

الأول : حزن مباح ، هو الحزن الذي فطر الله تعالى الخلق عليه ، وجعله من الغرائز التي لا تنفكّ عنهم.

وقد ينتج عنه " دمع العين ورّقة القلب من غير سخط لأمر الله"[2] وقد أثبته الله في غير ما موضع من القرآن الكريم ، منها قوله تعالى لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ)6 سورة الانعام

كما ثبت في البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم حزن وبكى عندما مات ابنه ابراهيم وقال : " إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون "[1]

[1] مقالعلىالانترنتغيرمذكوراسمكاتبه، بعنوان:" الكآبة... مرضالعصر. انظر

http://www.albawaba.com/ar/health,Mental_ Wellbeing/270990

[2] ابن حجر : فتح الباري . ج 3 ص 174

الثاني : حزن مذموم أو حرام ، هو الحزن الذي لا صبر لدى صاحبه ، ولا رضى بقضاء الله وقدره.

ويخالطه في الغالب أو ينتج عنه ما حّذر منه الشارع الحكيم من لطم الخدود وشق الجيوب وغيرها من السلوكيات التي تنم عن عدم الرضا بقضاء الله وقدره.

. 3[1].رقم الحديث (1303) . ج 1 ص 250 " **صلى الله عليه وسلم** البخاري : صحيح البخاري . كتاب الجنائز . باب قول النبي إنا بك لمحزونون "

الباب الثاني

الحزن في آيات القران الكريم

الفصل الاول: تفسير الآيات التي ذكر فيها الحزن في سورة البقرة

سنبدأ بذكر الآيات التي وردت في سورة البقرة وذكر فيها الحزن وسنفسرها تفسيرا موضوعيا وسيكون مرجع التفسير تفسير الشعراوي رحمه الله لجميع الآيات في البحث.

فضائل سورة البقرة وسورة ال عمران

فلا شك أن القرآن الكريم شفاء وعلاج لما يجده المسلم من أمراض نفسية أو جسدية. وهو كذلك وقاية مما يخافه... كما قال الله تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ). الإسراء:82، وقال تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ). يونس:57.

وبخصوص سورة البقرة فإنها تطرد الشياطين وتبطل السحر بإذن الله تعالى، وهي سبب للشفاء من العين خصوصاً الآيتين الأخيرتين منها، والقرآن كله شفاء للأبدان والعقول، وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة نذكر لك بعضها.

فقد صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما في صحيح مسلم وغيره، قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة.[1]

[1] ص188صحيح مسلم،29-باب استحباب صلاة النافلة في بيته، رقم الحديث (1860)ج2

وقال صلى الله عليه وسلم: اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما. اقرؤوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة السحرة.[1] رواه مسلم.

وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن لكل شيء سناما و سنام القرآن سورة البقرة و إن الشيطان إذا سمع سورة البقرة تقرأ خرج من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة.[2]

هذا حديث صحيح الإسناد و قد روي مرفوعا بمثل هذا الإسناد

وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه.[3] رواه البخاري.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت. رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.[4]

وعن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان. رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير[5].

ولم نقف على دليل خاص يفيد كونها تزيد في الرزق أو تباركه، ولكن ورد –على سبيل العموم– أن أخذها بركة، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة.[6]

---

[1] صحيح مسلم،42–باب فضل قراءة القران وسورة البقرة، رقم الحديث 1910 ج2 ص197

[2] المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات، باب اخبار في فضل سورة البقرة، رقم الحديث2060 ج1 ص 748

[3] رقم الحديث 5009 ج6 ص231صحيح البخاري–حسب ترقيم فتح الباري، باب كتاب بدء الوحي

[4] عمل اليوم والليلة للنسائي، باب ثواب من قرأ اية الكرسي دبر كل صلاة ، رقم الحديث 100 ج1ص182

[5] سنن الترمذي– شاكر + الباني، باب اخر سورة البقرة، رقم الحديث2882 ج5 ص 159

[6] صحيح مسلم،42–باب فضل قراءة القران وسورة البقرة، رقم الحديث1910 ج2 ص197

الحزن في آيات سورة البقرة

1- قال تعالى(قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)البقرة 38

تفسير الآية

يقول الحق سبحانه وتعالى في هذه الآية: { قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً } وفي سورة طه يقول جل جلاله { قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً } عندما خاطب الله سبحانه وتعالى بصورة الجمع. كان الخطاب لكل ذرية آدم المطمورة في ظهره. أمراً لهم جميعا بالهبوط. آدم وحواء والذرية. لأن كل واحد منا. إلى أن تقوم الساعة فيه جزيء من آدم. ولذلك لابد أن نلتفت إلى قول الحق تبارك وتعالى:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُواْ لأَدَمَ }[الأعراف: 11]

نلاحظ هنا أن الخطاب بصيغة الجمع، فلم يقل الحق سبحانه وتعالى. لقد خلقتك ثم صورتك ثم قلت للملائكة اسجدوا لآدم، فكأن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا إلى أنه ساعة الخلق كان كل ذرية آدم مطمورين في ظهره. خلقهم جميعا ثم صورهم جميعا. ثم طلب من الملائكة السجود لآدم. فهل نحن كنا موجودين؟ نعم كنا موجودين في آدم. ولذلك فإن الحق سبحانه وتعالى يقول: " اهبطوا " لنعرف أن هذا الخطاب موجه إلى آدم وذريته جميعا إلى يوم القيامة.

ومرة يقول { اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً } لأن هنا بداية تحمل المسئولية بالنسبة لآدم. في هذه اللحظة وهي لحظة الهبوط في الأرض. سيبدأ منهج الله مهمته في الحياة. ومادام هناك منهج وتطبيق فردي. تكون المسئولية فردية. ولا يأتي الجمع هنا.

فالحق سبحانه وتعالى يقول: { اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً } نلاحظ أن أمر الهبوط هنا بالمثنى. ثم يقول تبارك وتعالى جميعا.. جمع.. نقول أنه مادامت بداية التكليف. فهناك طرفان سيواجه بعضهما البعض. الطرف الأول. هو آدم وزوجه. والطرف الثاني هو إبليس. فهم ثلاثة ولكنهم في معركة الإيمان. فريقان فقط. آدم وحواء وذريتهما فريق. والشيطان فريق آخر. فكأن الله تعالى يريد أن يلفتنا إلى أن هذا الهبوط يتعلق بالمنهج وتطبيقه في الأرض. وفي المنهج آدم وحواء حريصان على الطاعة. وإبليس حريص على أن يقودهما إلى المعصية.

وفي قوله تعالى: { فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى } نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى بعد أن مر آدم بالتجربة ووقع في المعصية، علمه الله تعالى كلمات التوبة. ونصحه أنه إذا غفل يتوب. والله سبحانه وتعالى.. سيقبل توبته..
إذن فالحق سبحانه وتعالى يريد من آدم وحواء أن يسكنا الأرض. ويبدآ مهمتهما في الحياة. والله يدلهما على الخير. مصداقا لقوله تعالى: { فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى }.. وهدى لها معنيان.. هي بمعنى الدلالة على الخير. أو الدلالة على الطريق الموصلة للخير. وهناك هدى وهو الإعانة على الإيمان والزيادة فيه. واقرأ قوله تعالى:{ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ }[محمد: 17]
الهدى هنا في الآية الكريمة.. بمعنى الدلالة على طريق الخير. ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى: { فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }.

ما هو الخوف وما هو الحزن؟ الخوف أن تتوقع شرا مقبلا لا قدرة لك على دفعه فتخاف منه.. والحزن أن يفوتك شيء تحبه وتتمناه.
والحق سبحانه وتعالى يقول في هذه الآية: من مشى في طريق الإيمان الذي دللته عليه. وأنزلته في منهجي. فلا خوف عليهم. أي أنه لا خير سيفوتهم فيحزنوا عليه. لأن كل الخير في منهج الله. فالذي يتبع المنهج لا يخاف حدوث شيء أبدا.
وهذه تعطينا قضية مهمة في المجتمع. الذي لم يرتكب أية مخالفة.. هل يناله خوف؟ أبدا.. ولكن من يرتكب مخالفة تجده دائما خائفا خشية أن ينكشف أمره.. ويفاجأ بشر لا قدرة له على دفعه.
إن الإنسان المستقيم لا يعيش الخوف. لأن الخوف أمران. إما ذنب أنا سبب فيه. والسائر على الطريق المستقيم لم يفعل شيئا يخاف انكشافه. وإما أمر لا دخل لي فيه. يجريه على خالقي. وهذا لابد أن يكون لحكمة. قد أدركها. وقد لا أدركها ولكني أتقبلها. فالذي يتبع هدى الله. لا يخاف ولا يحزن. لأنه لم يذنب. ولم يخرق قانونا. ولم يغش بشرا. أو يخفي جريمة. فلا يخاف شيئا، ولو قابله حدث مفاجئ، فقلبه مطمئن. والذين يتبعون الله. لا يخافون. ولا يخاف عليهم.. وقوله تعالى: } وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ { لأن الذي يعيش طائعا لمنهج الله.. ليس هناك شيء يجعله يحزن. ذلك أن إرادته في هذه الحالة تخضع لإرادة خالقه. فكل ما يحدث له من الله هو خير. حتى ولو كان يبدو على السطح غير ذلك. ملكاته منسجمة وهو في سلام مع الكون ومع نفسه. والكون لا

يسمع منه إلا التسبيح والطاعة والصلاة. وكلها رحمة. فهو في سلام مع نفسه. وفي سلام مع ربه. وفي سلام مع المجتمع.

إن المجتمع دائما يسعد بالإنسان المؤمن الذي لا يفسد في الأرض. بل يفعل كل خير. فالمؤمن نفحة جمال تشع في الكون. ونعمة حسن ورضا مع كل الناس ومادام الإنسان كذلك. فلن يفقد ما يسره أبدا. فإن أصابته أحداث.. أجراها الله عليه.. لا يقابلها إلا بالشكر. وإن كان لا يعرف حكمتها.. وإياك أن تعترض على الله في حكم.

ولذلك يقول: أحمدك ربي على كل قضائك وجميع قدرك. حمد الرضا بحكمك واليقين بحكمتك..

والإنسان ينفعل للأحداث. ولكن هناك فرق بين الانفعال للأحداث وحدها وبين الانفعال للأحداث مع حكمة مجريها. ولذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الدقة حينما قال: " إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون "

انظر إلى الإيمان وهو يستقبل الأحداث.. العين تدمع. ولا يكون القلب قاسيا مثل الحجر، لكن فيه حنان. والقلب يخشع لله. مقدرا حكمته وإرادته..

والله سبحانه وتعالى لا يريدنا أن نستقبل الأحداث بالحزن وحده. ولكن بالحزن مع الإيمان. فالله لا يمنعك أن تحزن. ولكن عليك ألا تفصل الحدث عن مجريه وحكمته فيه.. ولذلك حين تذهب إلى طبيب العظام.. فيكسر لك عظامك لكي يصلحها. هل يفعل لك خيرا أو شرا؟ طبعا يفعل لك خيرا. وإن كان ذلك يؤلمك. انتهى كلامه رحمه الله[1]. نفهم من تفسير هذه الآيات ان اتباع هدى الله ينجي من الاحزان والهدى في اتباع ما انزل الله من الكتاب الحكيم وارسال الرسول صلى الله عليه وسلم بالدين الحق فمن اراد السعادة وعدم الخوف والحزن فعليه اتباع هدى الله والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

[1] هو الشيخ محمد متولي الشعراوي عالم من علماء دولة مصر والعالم الاسلامي في التفسير والفقه ولد عام 1911 للميلاد وتوفي عام 1998 للميلاد انظر تفسير الشعراوي ، الموسوعة الشاملة ،ج1 ص 148 تفسير اية 38 سورة البقرة

2- قال تعالى (- بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

سورة البقرة 112

تفسير الآية

- بعد أن بين لنا الله تبارك وتعالى كذب اليهود وطالبهم بالدليل على ما قالوه من أنه لن يدخل الجنة إلا اليهود والنصارى جاء بحقيقة القضية ليخبرنا جل جلاله من الذي سيدخل الجنة.. فقال: " بلى ".. وعندما تقرأ: " بلى " اعلم أنها حرف جواب ولابد أن يسبقها كلام ونفي.. فساعة يقول لك إنسان ليس لي عليك دين.. إذا قلت له نعم فقد صدقت أنه ليس عليه دين.. ولكن إذا قلت بلى فذلك يعني أن عليه دينا وأنه كاذب فيما قاله.. إذن بلى تأتي جوابا لتثبيت نفي ما تقدم.

هم قالوا { لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نصارى }.. عندما يقول الله لهم بلى فمعنى ذلك أن هذا الكلام غير صحيح.. وأنه سيدخلها غير هؤلاء.. وليس معنى أنه سيدخلها غير اليهود والنصارى.. أن كل يهودي وكل نصراني سيدخل الجنة.. لأن الله سبحانه وتعالى قد حكم حينما جاء الإسلام بأن الذي لا يسلم لا يدخل الجنة.. واقرأ قوله جل جلاله:{ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ }[آل عمران: 85]

لماذا لم يقل الله سبحانه وتعالى.. أنه لن يدخلها اليهود ولا النصارى.. لأن القرآن أزلي.. ما معنى أزلي؟.. أي أنه يعالج القضايا منذ بداية الخلق وحتى يوم القيامة.. فالقرآن كلام الله تبارك وتعالى.. فلو أنه قال لن يدخل الجنة إلا من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لكان في هذا تجاوزٌ.. لأن هناك من آمن بموسى وقت رسالته وعاصره واتبعه وحسن دينه ومات قبل أن يدرك محمدا عليه الصلاة والسلام.. فهل هذا لا يدخل الجنة ويجازى بحسن عمله.. وهناك من النصارى من آمن بعيسى وقت حياته.. وعاصره ونفذ تعاليمه ومنهجه ثم مات قبل أن يُبْعَثَ محمدٌ عليه الصلاة والسلام.. أهذا لن يدخل الجنة؟.. لا.. يدخل وتكون منزلته حسب عمله ويجازى بأحسن الجزاء.. ولكن بعد أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وجاء الإسلام ونزل القرآن، فكل من لم يؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة.. بل ولن يراها.. ولذلك جاء كلام الله دقيقا لم يظلم أحدا من خلقه.

إذن فقوله تعالى: { بلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ }.. أي لا يدخل الجنة إلا من أسلم وجهه لله وهو محسن.. فقد يسلم واحد وجهه لله ويكون منافقا يظهر غير ما يبطن.. نقول إن المنافقين لم يكونوا محسنين ولكنهم كانوا مسيئين.

. لأن لهم شخصيتين شخصية مؤمنة أمام الناس وشخصية كافرة في الحقيقة أو في قلوبهم.

قوله تعالى: } مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للَّهِ { تدلنا على أن كل شيء أسلم لله لأن الوجه هو أشرف شيء في الإنسان.. فيه التمييز وفيه السمة وفيه التشخص وهو أعلى ما في الجسم.. وحينما عرفوا الإنسان قالوا حيوان ناطق أي حيوان مفكر.. وقال بعضهم حيوان مستوي القامة يعني قامته مرفوعة.. والقامة المرفوعة على بقية الجسم هي الوجه.. والإنسان مرفوع على بقية أجناس الأرض.. إذن هو مرفوع على بقية الأجناس ووجهه مرفوع عليه.. فإذا أسلم وجهه لله يكون قد أسلم أشرف شيء فيه لله.. ولذلك قيل.. أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد.. لماذا؟.. لأنه جاء بالوجه الذي رفعه الله به وكرمه.. وجعله مساويا لقدميه ليستوي أكمل شيء فيه بأدنى شيء.. فلم يبقى عنده شيء يختال به على الله.

الحق سبحانه وتعالى يقول: } فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ {.. كلمة } أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ {.. دلت على أن الله لم يجعلنا مقهورين.. ولكنه كلفنا وجعلنا مختارين أن نفعل أو لا نفعل.. فإن فعلنا فلنا أجر.. ولأن التكليف من الله سبحانه وتعالى فالمنطقي أن يكون الأجر عند الله.. وألا يوجد خوف أو حزن.. لأن الخوف يكون من شيء سيقع.. والحزن يأتي على شيء قد وقع.. ولا هذه ولا تلك تحدث عندما يكون أجرنا عند الله.

إن الإنسان حين يكون له حق عند مساويه.. فربما يخاف أن ينكر المساوي هذا الحق أو يطمع فيه، أو يحتاج إليه فيدعي عدم أحقيته فيه، ولكن الله سبحانه وتعالى غني عن العالمين.. ولذلك فهو لا يطمع فيما في أيدينا من خير لأنه من عنده.. ولا يطمع فيما معنا من مال لأن عنده خزائن السموات والأرض.

الله سبحانه لا ينكر حقا من حقوقنا لأنه يعطينا من فضله ويزيدنا.. ولذلك فإن ما عند الله لا خوف عليه بل هو يضاعَف ويزداد.. وما عند الله لا حزن عليه.. لأن الإنسان يحزن إذا فاته خير.. ولكن ما عند الله باق لا يفوتك ولا تفوته.. فلا يوجد شيء عند الله سبحانه وتعالى تحزن عليه لأنه فات.. ولذلك كان قول الحق سبحانه وتعالى: } وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {.. أدق ما يمكن أن يقال عن حالة المؤمنين في الآخرة.. أنهم يكونون فرحين بما عند الله لا خوف عندهم ولا حزن.[1] انتهى كلامه رحمه الله

[1] انظر تفسير الشعراوي ،الموسوعة الشاملة ،ج1 ص317

3- قال تعالى (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة 274

تفسير الآية

إن المسألة في الإنفاق تقتضي أمرين: إما أن تنفق سراً، وإما أن تنفق علانية. والزمن هو الليل والنهار، فحصر الله الزمان والحال في أمرين: الليل والنهار فإياك أن تحجز عطيّةً تريد أن تعطيها وتقول: " بالنهار أفعل أو في الليل أفعل؛ لأنه أفضل " وتتعلل بما يعطيك الفسحة في تأخير العطاء، إن الحق يريد أن تتعدى النفقة منك إلى الفقير ليلاً أو نهاراً، ومسألة الليلية والنهارية في الزمن، ومسألة السرية والعلنية في الكيفية لا مدخل لها في إخلاص النية في العطاء.

{ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ } أقالت الآية: الذين ينفقون أموالهم بالليل أو النهار؟ لا، لقد طلب من كل منا أن يكون إنفاقه ليلاً ونهاراً وقال: " سراً وعلانية " فأنفق أنت ليلاً، وأنفق أنت نهارا، وأنفق أنت سراً، وأنفق أنت علانية، فلا تحدد الإنفاق لا بليل ولا بنهار، لا بزمن ولا بكيفية ولا بحال.

إن الحق سبحانه استوعب زمن الإنفاق ليلاً ونهارا، واستوعب أيضاً الكيفية التي يكون عليها الإنفاق سراً وعلانية ليشيع الإنفاق في كل زمن بكل هيئة، وهنا يقول الحق سبحانه وتعالى عن هؤلاء: { فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ } وهذا القول يدل على عموم من يتأتى منه الإنفاق ليلاً أو نهاراً، سراً أو علانية.

وإن كان بعض القوم قد قال: إنها قيلت في مناسبة خاصة، وهي أن الإمام عليًّا كرم الله وجهه ورضى عنه كانت عنده أربعة دراهم، فتصدق بواحد نهاراً، وتصدق بواحد ليلا، وتصدق بواحد سراً، وتصدق بواحد علانية، فنزلت الآية في هذا الموقف، إلا أن قول الله: { فَلَهُمْ } يدل على عموم الموضوع لا على خصوص السبب، فكأن الجزاء الذي رتبه سبحانه وتعالى على ذلك شائع على كل من يتأتى منه هذا العمل.

وقول الله: { فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ } هنا نجد أن كلمة " أجر " تعطينا لمحة في موقف المؤمن من أداءات الإنفاق كلها؛ لأن الأجر لا يكون إلا عن عمل فيه ثمن لشيء، وفي أجر لعمل. فالذي تستأجره لا يقدم لك شيئا إلا مجهودا، هذا المجهود قد ينشأ عنه مُثْمَنٌ، أَيْ شيء له ثمن، فقول الله { فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ } يدل على أن المؤمن يجب أن ينظر إلى كل شيء جاء عن عمل فالله يطلب منه أن ينفق منه.

إن الله لا يعطيه ثمن ما أنفق، وإنما يعطيه الله أجر العمل، لماذا؟ لأن المؤمن الذي يضرب في الأرض يخطط بفكره، والفكر مخلوق لله، وينفذ التخطيط الذي خططه بفكره بوساطة طاقاته وأجهزته؛ وطاقاتُه وأجهزته مخلوقة لله، ويتفاعل مع المادة التي يعمل فيها، وكلها مخلوقة لله، فأي شيء يملكه الإنسان في هذا كله؟ لا الفكر الذي يخطط، ولا الطاقة التي تفعل، ولا المادة التي تنفعل؛ فكلها لله.

إذن فأنت فقط لك أجر عملك؛ لأنك تُعمل فكرا مخلوقا لله، بطاقة مخلوقة لله، في مادة مخلوقة لله، فإن نتج منها شيء أراد الله أن يأخذه منك لأخيك العاجز الفقير فإنه يعطيك أجر عملك لا ثمن عملك. لكن المساوي لك في الخلق هو الإنسان إن أخذ منك حصيلة عملك فهو يعطيك ثمن ما أخذ منك، فهي من المخلوق المساوي " ثمن " ، وهي من الخالق الأعلى أجر؛ لأنك لا تملك شيئا في كل ذلك.

وبعد ذلك يقول الحق: } وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ { والخوف هو الحذر من شيء يأتي، فمن الخائف؟ من المخوف؟ ومن المخوف عليه؟ } وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ { ممن؟

يجوز أن يكون } وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ { من أنفسهم؛ فقد يخاف الطالب على نفسه من أن يرسب، فالنفس واحدة خائفة ومخوف عليها، إنها خائفة الآن ومخوف عليها بعد الآن. فالتلميذ عندما يخاف أن يرسب، لا يقال: إن الخائف هو عين المخوف؛ لأن هذا في حاله، وهذا في حاله.

أو } وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ { من غيرهم، فمن الجائز أن يكون حول كثير من الأغنياء أناس حمقى حين يرون أيدي هؤلاء مبسوطة بالخير للناس فيغمرونهم ليمسكوا مخافة أن يفتقروا كأن يقولوا لهم: " استعدوا للزمن فوراءكم عيالكم ". لكن أهل الخير لا يستمعون لهؤلاء الحمقى.

إذن فـ } وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ { لا من أنفسهم، ولا من الحمقى حولهم. ويتابع الحق: } وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ { أي لا خوف عليهم الآن، ولا حزن عندهم حين يواجهون بحقائق الخير التي ادخرها الله سبحانه وتعالى لهم بل إنهم سيفرحون.

بعد ذلك يتعرض الحق سبحانه وتعالى إلى قضية من أخطر قضايا العصر، وهذه القضية كان ولابد أن يتعرض لها القرآن؛ لأنه يتكلم عن النفقة وعن الإنفاق ولا شك أن ذلك يقتضي منفِقا ومنفَقاً عليه؛ لأنه عاجز، فهب أن الناس شحّوا، ولم ينفقوا، فماذا يكون موقف العاجز الذي لا يجد؟ إن موقفه لا يتعدى أمرين: إما أن يذهب فيقترض، وإن لم يقبل أحد أن يقرضه فهو يأخذ بالربا والزيادة وإلا فكيف يعيش؟

إذن فالآيات التي نحن بصددها تعرّضت للهيكل الاقتصادي في أمة إسلامية جوادة، أو أمة إسلامية بخيلة شحيحة، لماذا؟

لأن الذي خلق الخلق قد صنع حسابا دقيقا لذلك الخلق، بحيث لو أحصيت ما يجب على الواجدين من زكاة، وأحصيت ما يحتاج إليه من لا يقدر لأن به عجزا طبيعيا عن العمل، لوجدت العاجزين يحتاجون لمثل ما يفيض عن القادرين بلا زيادة أو نقصان، وإلا كان هناك خطأ والعياذ بالله في حساب الخالق، ولا يمكن أن يتأتى ذلك أبداً.

وحين ننظر إلى المجتمعات في تكوينها نجد أن إنساناً غنيا في مكان قد نبا به مكانه، واختار أن يقيم في مكان آخر، فيعجب الناس لماذا ترك ذلك المكان وهو في يسر ورخاء وغنى؟ ربما لو كان فقيراً لقلنا طلبا للسعة، فلماذا خرج من هذا المكان وهو واجد، وهو على هذا الحال من اليسر؟ إنهم لم يفطنوا إلى أن الله الذي خلق الخلق يُدير كونه بتسخير وتوجيه الخواطر التي تخطر في أذهان الناس، فتجد مكانه قد نبا به، وامتلأت نفسه بالقلق، واختار أن يذهب إلى مكان آخر.

ولو أن عندنا أجهزة إحصائية دقيقة وحسبنا المحتاجين في البيئة التي انتقل منها لوجدنا قدرا من المال زائد على حاجة الذين يعيشون في هذه البيئة؛ فوجهه الله إلى مكان آخر يحتاج إلى مثل هذا الكم منه. وهكذا تجد التبادل منظما. فإن رأيت إنسانا محتاجا أو إنسانا يريد أن يرابي فاعلم أن هناك تقصيراً في حق الله المعلوم ولا أقول في الحق غير المعلوم. أي أن الغني بخل بما يجب عليه إنفاقه للمحتاج.

والقرآن حين يواجه هذه المسألة فهو يواجهها مواجهة تُبشِّع العمل الربوي تبشيعا يجعل النفس الإنسانية المستقيمة التكوين تنفر منه فيقول سبحانه: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ.) البقرة 275.انتهى كلامه رحمه الله[1]، فهنا نفهم من تفسير هذه الآيات ان الانفاق في من الاموال المكتسبة في سبيل الله ليلا ونهارا سرا وعلانية فلهم الاجر من الله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن اوجه الانفاق يتلخص لنا في قول الله عز وجل (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَاتَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) سورة البقرة 215

ذكر الله لنا سبحانه وتعالى ان اولى الناس بالنفقة الوالدين من خير المال ومن بعدهم يأتي الترتيب بالأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل والله خبير بما نعمله من خير في الانفاق.

[1] انظر تفسير الشعراوي، الموسوعة الشاملة، ج1 ص756تفسير الآية 274 سورة البقرة

4- قال تعالى (- إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة 277

تفسير الآية

قلنا: إن كلمة " أجر " تقتضي أنه لا يوجد مخلوق يملك سلعة، إنما كلنا مستأجرون، لماذا؟ لأننا نشغل المخ المخلوق لله، بالطاقة المخلوقة لله، في المادة المخلوقة لله، فماذا تملك أنت أيها الإنسان إلا عملك، وما دمت لا تملك إلا عملك فلك أجر { لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ }. وكلمة { عِندَ رَبِّهِمْ } لها ملحظ؛ فعندما يكون لك الأجر عند المساوي لك قد يأكلك، أما أجرك عند رب تولّى هو تربيتك، فلن يضيع أبداً.

ويتابع الحق: { وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ } لا من أنفسهم على أنفسهم، ولا من أحبابهم عليهم، { وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }؛ لأن أي شيء فاتهم من الخير سيجدونه مُحضرا أمامهم. انتهى كلامه رحمه الله[1].

5- قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة 62

تفسير الآية

بعد أن تحدث الحق سبحانه وتعالى عن بني إسرائيل وكيف كفروا بنعمه.. أراد أن يعرض لنا حساب الأمم التي سبقت أمم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، ولقد وردت هذه الآية في سورة المائدة ولكن بخلاف يسير من التقديم والتأخير.. ففي سورة المائدة:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئُونَ والنصارى }[المائدة: 69]

أي أنه في سورة المائدة تقدمت الصابئون على النصارى.. واختلف الإعْراب فبينما في البقرة و " الصابئين ".. وفي المائدة و " الصابئون ".. وردت آية أخرى في سورة الحج:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِئِينَ والنصارى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّ اللَّهَ على كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }[الحج: 17]

الآيات الثلاث تبدو متشابهة.. إلا أنَّ هناك خلافات كثيرة.. ما هو سبب التكرار الموجود في الآيات.. وتقديم الصابئين مرة وتأخيرها.. ومع تقديمها رفعت وتغير الإعراب.. وفي الآيتين الأوليين (البقرة والمائدة) تأتي: { مَنْ

[1] انظر تفسير الشعراوي، الموسوعة الشاملة، ج1ص777 تفسير الآية 277 سورة البقرة

آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }.. أما في الآية التي في سورة الحج فقد زاد فيها: { الْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ }.. واختلف فيها الخبر.. فقال الله سبحانه وتعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ }.

عندما خلق الله وأنزله ليعمر الأرض أنزل معه الهدى.. واقرأ قوله تعالى:{ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يشقى }[طه: 123]

مفروض أن آدم أبلغ المنهج لأولاده.. وهؤلاء أبلغوه لأولادهم وهكذا.. وتشغل الناس الحياة وتطرأ عليهم الغفلة.. ويصيبهم طمع الدنيا وجشعها ويتبعون شهواتهم.. فكان لابد من رحمة الله لخلقه أن يأتي الرسل ليذكروا وينذروا ويبشروا..

الآية الكريمة تقول: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ }.. أي إيمان الفطرة الذي نزل مع آدم إلى الأرض.. وبعد ذلك جاءت أديان كفر الناس بها فأبيدوا من على الأرض.. كقوم نوح ولوط وفرعون وغيرهم.. وجاءت أديان لها اتباع حتى الآن كاليهودية والنصرانية والصابئة، والله سبحانه وتعالى يريد أن يجمع كل ما سبق في رسالة محمد عليه الصلاة والسلام.. ورسول الله صلى الله عليه وسلم جاء لتصفية الوضع الإيماني في الأرض..

إذن الذين آمنوا أولا سواء مع آدم أو مع الرسل.. الذين جاءوا بعده لمعالجة الداءات التي وقعت.. ثم الذين تسموا باليهود والذين تسموا بالنصارى والذين تسموا بالصابئة.. فالله تبارك وتعالى يريد أن يبلغهم لقد انتهى كل هذا.. فمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.. فكأن رسالته عليه الصلاة والسلام جاءت لتصفية كل الأديان السابقة.

. وكل إنسان في الكون مطالب بأن يؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام.. فقد دعى الناس كلهم إلى الإيمان برسالته.. ولو بقي إنسان من عهد آدم أو من عهد إدريس أو من عهد نوح أو إبراهيم أو هود.. وأولئك الذين نسبوا إلى اليهودية وإلى النصرانية وإلى الصابئة.. كل هؤلاء مطالبون بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتصديق بدين الإسلام.. فالإسلام يمسح العقائد السابقة في الأرض.. ويجعلها مركزة في دين واحد.. الذين آمنوا بهذا الدين: } لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {.. والذين لم يؤمنوا لهم خوف وعليهم حزن.. وهذا إعلان بوحدة دين جديد.. ينتظم فيه كل من في الأرض إلى أن تقوم الساعة.. أما أولئك الذين ظلوا على ما هم عليه.. ولم يؤمنوا بالدين الجديد.. لا يفصل الله بينهم إلا يوم القيامة.. ولذلك فإن الآية التي تضمنت

الحساب والفصل يوم القيامة.. جاء فيها كل من لم يؤمن بدين محمد عليه الصلاة والسلام.. بما فيهم المجوس والذين أشركوا.

والحق تبارك وتعالى أراد أن يرفع الظن.. عمن تبع دينا سبق الإسلام وبقي عليه بعد السلام.. وهو يظن أن هذا الدين نافعه.. نقول له أن الحق سبحانه وتعالى قد حسم هذه القضية في قوله تعالى:{ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ }[آل عمران: 85]

وقوله جل جلاله:{ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ }[آل عمران: 19]

إذن التصفية النهائية لموكب الإيمان والرسالات في الوجود حسمت.. فالذي آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام.. لا يخاف ولا يحزن يوم القيامة.. والذي لم يؤمن يقول الله تبارك وتعالى له } إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ {.. إذن الذين آمنوا هم الذين ورثوا الإيمان من عهد آدم.. والذين هادوا هم أتباع موسى عليه السلام.. وجاء الاسم من قولهم: " إنا هدنا إليك " . أي عدنا إليك.. والنصارى جمع نصراني وهم منسوبون إلى الناصرة البلدة التي ولد فيها عيسى عليه السلام.. أو من قول الحواريين نحن أنصار الله في قوله تعالى:{ فَلَمَّآ أَحَسَّ عيسى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }[آل عمران: 52]

أما الصابئة فقد اختلف العلماء فيهم.. قال بعضهم هم أتباع نوح ولكنهم غيروا بعده وعبدوا من دون الله الوسائط في الكون كالشمس والقمر والكواكب.. أو الصابئة هم الذين انتقلوا من الدين الذي كان يعاصرهم إلى الدين الجديد.. أو هم جماعة من العقلاء قالوا ما عليه قومنا لا يقنع العقل.. كيف نعبد هذه الأصنام ونحن نصنعها ونصلحها؟.

. فامتنعوا عن عبادة أصنام العرب.. فقالوا عنهم إنهم صبئوا عن دين آبائهم.. أي تركوه وآمنوا بالدين الجديد.. وأيا كان المراد بالصابئين فهم كل من مال عن دينه إلى دين آخر.

أننا نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى.. جاء بالصابئين في سورة البقرة متأخرة ومنصوبة.. وفي سورة المائدة متقدمةً ومرفوعةً.. نقول هذا الكلام يدخل في قواعد النحو.. الآية تقول: } إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ {.. نحن نعرف أَنَّ (إِنَّ) تنصب الاسم وترفع الخبر.. فالذين مبني لأنه اسم موصول في محل نصب اسم لأن: } وَالَّذِينَ هَادُواْ { معطوف على الذين آمنوا يكون منصوباً أيضاً.. والنصارى معطوف أيضا على اسم إن.. والصابئين معطوف أيضا ومنصوب بالياء لأنه جمع مذكر سالم..

نأتي إلى قوله تعالى: } مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ {. هذه مستقيمة في سورة البقرة إعرابا وترتيبا.. والصابئين تأخرت عن النصارى لأنهم فرقة قليلة.. لا تمثل جمهرة كثيرة كالنصارى.. ولكن في آية المائدة تقدمت الصابئون وبالرفع في قوله تعالى: } إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ {.. الذين آمنوا اسم إن والذين هادوا معطوف.. و " الصابئون " كان القياس إعرابيا أن يقال والصابئين.. وبعدها النصارى معطوفة.. ولكن كلمة (الصابئون) توسطت بين اليهود وبين النصارى.. وكسر إعرابها بشكل لا يقتضيه الظاهر.. وللعرب إذن مرهفة لغويا.. فمتى سمع الصابئين التي جاءت معطوفة على اسم إن تأتي بالرفع يلتفت لفتة قسرية ليعرف السبب..

حين تولى أبا جعفر المنصور الخلافة.. وقف على المنبر ولحن لحنة أي أخطأ في نطق كلمة.. وكان هناك إعرابي يجلس فآذت أُذنيه.. وأخطأ المنصور للمرة الثانية فحرك الإعرابي أُذنيه باستغراب.. وعندما أخطأ للمرة الثالثة قام الإعرابي وقال.. أشهد أنك وليت هذا الأمر بقضاء وقدر.. أي أنك لا تستحق هذا.. هذا هو اللحن إذا سمعه العربي هز أذنيه.. فإذا جاء لفظ مرفوعا والمفروض أن يكون منصوبا.. فإن ذلك يجعله يتنبه أن الله له حكمة وعلة.. فما هي العلة؟..

الذين آمنوا أمرهم مفهوم والذين هادوا أمرهم مفهوم والنصارى أمرهم مفهوم.. أما الصابئون فهؤلاء لم يكونوا تابعين لدين.. ولكنهم سلكوا طريقا مخالفا.. فجاءت هذه الآية لتلفتنا أن هذه التصفية تشمل الصابئين أيضا.. فقدمتها ورفعتها لتلفت إليها الآذان بقوة.. فالله سبحانه وتعالى يعطف الإيمان على العمل لذلك يقول دائما: } آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً {.. لأن الإيمان إن لم يقترن بعمل فلا فائدة منه.. والله يريد الإيمان أن يسيطر على حركة الحياة بالعمل الصالح.. فيأمر كل مؤمن بصالح العمل وهؤلاء لا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة. انتهى كلامه رحمه الله[1]. يؤكد الله لنا سبحانه وتعالى ب إن التوكيد الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا والجواب فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون، وهنا دلالة على الايمان بالله وباليوم الاخر الايمان الصادق الذي لا يخالطه شك ويعمل صالحا في الدنيا فالله يؤجرهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لأنه ليس هناك حزن في جنات النعيم ولا حزن بطاعة الله في الدنيا فالإيمان بالله يخفف على المؤمن وقع المصائب وفراق الاحبة لأنه كله من عند الله.

[1] الموسوعة الشاملة، ج1 ص207 تفسير الآية 62 سورة البقرةانظر تفسير الشعراوي،

6- قال تعالى (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) البقرة 262

تفسير الآية

إنها لقطة أخرى يوضح فيها الحق: إياك حين تنفق مالك في سبيل الله وأنت طامع في عطاء الله أن تمن على من تعطيه أو تؤذيه. والمنّ هو أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه ويريه أنه أوجب عليه حقا له وأنه أصبح صاحب فضل عليه، وكما يقولون في الريف (تعاير بها)، والشاعر يقول: وإنّ امرَأً أسدى إليّ صنيعة وذكَّرنيها مَرَّةً للئيمو، لذلك فمن الأدب الإيماني في الإنسان أن ينسى أنه أهدى وينسى أنه أنفق، ولا يطلع أحداً من ذويه على إحسانه على الفقير أو تصدقه عليه وخاصة الصغار الذين لا يفهمون منطق الله في الأشياء، فعندما يعرف ابني أنني أعطي لجاري كذا، ربما دلّ ابني وَمَنّ على ابن جاري، ربما أخذه غروره فعيّره هو، ولا يمكن أن يقدر هذا الأمر إلا مُكَلَّفٌ يعرف الحكم بحيثيته من الله.

إن الحق يوضح لنا: إياك أن تتبع النفقة منّا أو أذى؛ لأنك إن أتبعتها بالمنّ ماذا يكون الموقف؟ يكرهها المعْطَى الذي تصدقت بها عليه ويتولد عنده حقد، ويتولد عنده بغض، ولذلك حينما قالوا: " اتق شر من أحسنت إليه " شرحوا ذلك بأن اتقاء شر ذلك الإنسان بألا تذكره بالإحسان، وإياك أن تذكره بالإحسان؛ لأن ذلك يولد عنده حقداً.

ولذلك تجد كثيرا من الناس يقولون: كم صنعت بفلان وفلان الجميل، هذا كذا وهذا كذا، ثم خرجوا عليّ فانكروه. وأقول لكل من يقول ذلك: ما دمت تتذكر ما أسديته إليهم فمن العدالة من الله أن ينكروه، ولو أنك عاملت الله لما أنكروه، فما دمت لم تعامل الله، فإنك تقابل بنكران ما أنفقت.

فكأن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يسخي بالآية الأولى قلب المنفق ليبسط يده بالنفقة، لذلك قال: { ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَآ أَنْفَقُواْ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }.

فالحق سبحانه وتعالى طمأننا في الآية الأولى على أن الصدقة والنفقة لا تنقص المال بل تزيده، وضرب لنا الحق سبحانه المثل بالأرض التي تؤتينا بدل الحبة الواحدة سبعمائة حبة، ثم يوضح الحق لنا أن آفة الإنفاق أن يكون مصحوباً بـ " المنّ " أو " الأذى "؛ لأن ذلك يفسد قضية الاستطراق الصفائي في الضعفاء والعاجزين، ولذلك يقول الحق سبحانه:

{ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَآ أَنْفَقُواْ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ } [البقرة: 262]

انظر إلى الدقة الأدائية في قوله الكريم: { ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَآ أَنْفَقُواْ مَنّاً وَلاَ أَذًى }. قد يستقيم الكلام لو جاء كالآتي: " الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ولا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى " ، لكن الحق سبحانه قد جاء بـ " ثم " هنا؛ لأن لها موقعاً.

إن المنفق بالمال قد لا يمن ساعة العطاء، ولكن قد يتأخر المنفق بالمن، فكأن الحق سبحانه وتعالى ينبه كل مؤمن:

يجب أن يظل الإنفاق غير مصحوب بالمن وأن يبتعد المنفق عن المن دائماً، فلا يمتنع عن المن فقط وقت العطاء، ولكن لابد أن يستمر عدم المن حتى بعد العطاء وإن طال الزمن.

إن " ثم " تأتي في هذا المعنى لوجود مسافة زمنية تراخى فيها الإنسان عن فعل المن. فالحق يمنع المن منعاً متصلاً متراخياً، لا ساعة العطاء فحسب، ولكن بعد العطاء أيضاً. وشوقي أمير الشعراء . رحمه الله . عندما كتب الشعر في حمل الأثقال وضع أبياتاً من الشعر في مجال حمل الأثقال النفسية، فقال:أحملت دَيْناً في حياتك مرة؟ أحملت يوما في الضلوع غليلا؟أحملت مَنّاً في النهار مُكَرَّرا؟ والليلِ مِن مُسْدٍ إليك جميلا؟وبعد أن عدد شوقي أوجه الأحمال الثقيلة في الحياة قال:تلك الحياة وهذه أثقالها وُزِنَ الحديدُ بها فعاد ضئيلاكأن المن إذن عبء نفسي كبير. ويطمئن الحق سبحانه من ينفقون أموالهم دون مَنٍّ ولا أذى في سبيل الله بأن لهم أجراً عند ربهم. وكلمة " الأجر " . والإيضاح من عند الرب . هي طمأنة إلى أن الأمر قد أحيل إلى موثوق بأدائه، وإلى قادر على هذا الأداء. أما الذي يمن أو يؤذي فقد أخذ أجره بالمن أو الأذى، وليس له أجر عند الله؛ لأن الذي يمن أو يؤذي لم يتصور رَبَّ الضعيف، وإنما تصور الضعيف.

والمنفق في سبيل الله حين يتصور رب الضعيف، وأن رب الضعيف هو الذي استدعاه إلى الوجود، وهو الذي أجرى عليه الضعف، فهو يؤمن أن الله هو الكفيل برزق الضعيف، وحين ينفق القوي على الضعيف فإنما يؤدي عن الله، ولذلك نجد في أقوال المقربين:

" إننا نضع الصدقة في يد الله قبل أن نضعها في يد الضعيف " ولننظر إلى ما فعلته سيدتنا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. لقد راحت تحلو الدرهم وتطيبه، فلما قيل لها: ماذا تصنعين؟ قالت: أحلو درهماً وأطيبه لأني نويت أن أتصدق به. فقيل لها: أتتصدقين به محلواً ومعطراً؟

قالت الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأني أعلم أنه يقع في يد الله قبل أن يقع في يد الفقير. إن الأجر يكون عند من يغليه ويعليه ويرتفع بقيمته وهو الخالق الوهاب.

ولنتأمل قول الحق: } وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ { لماذا لم يقل الله: ولا خوف منهم؟. لأن الحق يريد أن يوضح لنا بقوله: } وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ { أن هناك عنصراً ثالثاً سيتدخل. إنه تدخل من شخص قد يظهر للإنسان المنفق أنه محب له، فيقول: ادخر للأيام القادمة، ادخر لأولادك.

لمثل هذا العنصر يقول الحق: } وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ { أي إياك يا صاحب مثل هذا الرأي أن تتدخل باسم الحب، ولتوفر كلامك؛ لأن المنفق في سبيل الله إنما يجد العطاء والحماية من الله. فلا خوف على المنفق في سبيل الله، وليس ذلك فقط، إنما يقول الحق عن المنفقين في سبيل الله دون منٍّ ولا أذى: } وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ { ومعناها أنه سوف يأتي في تصرفات الحق معهم ما يفرحهم بأنهم تصدقوا إما بسرعة الخلف عليهم، أو برضى النفس، أو برزق السلب، فآفة الناس أنهم ينظرون إلى رزق الإيجاب دائما، أي أن يقيس البشر الرزق بما يدخل له من مال، ولا يقيسون الأمر برزق السلب، ورزق السلب هو محط البركة.

هب أن إنسانا راتبه خمسون جنيها، وبعد ذلك يسلب الله منه مصارف تطلب منه مائة جنيه، كأن يدخل فيجد ولده متعبا وحرارته مرتفعة، فيرزق الله قلب الرجل الاطمئنان، ويطلب من الأم أن تعد كوبا من الشاي للابن ويعطيه قرصا من الأسبرين، وتذهب الوعكة وتنتهي المسألة.

ورجل آخر يدخل ويجد ولده متعبا وحرارته مرتفعة، وتستمر الحرارة لأكثر من يوم، فيقذف الله في قلبه الرعب، وتأتي الخيالات والأوهام عن المرض في ذهن الرجل، فيذهب بابنه إلى الطبيب فينفق خمسين أو مائة من الجنيهات.

الرجل الأول، أبرأ الله ابنه بقرش. والثاني، أبرأ الله ابنه بجنيهات كثيرة. إن رزق الرجل الأول هو رزق السلب، فكما يرزق الله بالإيجاب، فالله يرزق بالسلب أي يسلب المصرف ويدفع البلاء. وهناك رجل دخله مائة جنيه، ويأتي له الله بمصارف تأخذ مائتين، وهناك رجل دخله خمسون جنيها فيسلب الله عنه مصارف تزيد على مائة جنيه، فأيهما الأفضل.

إنه الرجل الذي سلب الله عنه مصارف تزيد على طاقته. إذن فعلى الناس أن تنظر إلى رزق السلب كما تنظر إلى رزق الإيجاب، وقوله الحق عن المنفقين في سبيله دون مَنٍّ أو أذى: } وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {

هذا القول دليل على أن الله سيأتي بنتيجة النفقة بدون مَنّ أو أذى بما يفرح له قلب المؤمن، إما بالبركة في الرزق وإمّا بسلب المصارف عنه، فيقول القلب المؤمن: إنها بركة الصدقة التي أعطيتها.

إنه قد تصدق بشيء فرفع وصرف عنه الله شيئا ضارا، فيفرح بذلك القلب المؤمن. وبعد ذلك ينبهنا الحق سبحانه وتعالى إلى قضية مهمة هي: إن لم تَجُد أيها المؤمن بمالك فأحسن بمقالك، فإن لم تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بحسن الرد، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: " اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة ".

والحق سبحانه وتعالى يحدد القضية في هذه الآية: } قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ... { البقرة 263. انتهى كلامه رحمه الله[1].

وهنا قضية مهمة وهي اعطاء الصدقات بدون من على احد او ايذائه لان ذلك سيبطلها كما قال الحق سبحانه(لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) وينبهنا الله في الآية التي بعدها (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم) البقرة 263، يا عبدالله لو كنت فقيرا هل وددت ان يمن عليك احد بصدقته او يؤذيك كأن يستخدمك ويستضعفك بين الناس وفي المجالس بان اعطاك مالا، يرائي به بين الناس

وهنا الخطاب من الله للمؤمنين قال تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) سورة البقرة 264

وهنا يقول شيخنا رحمه الله :فالذي يتصدق ويتبع صدقته بالمن والأذى ، إنما يُبطل صدقته ، وخسارته تكون خسارتين : الخسارة الأولى أنه أنقص ماله بالفعل؛ لأن الله لن يعوض عليه؛ لأنه أتبع الصدقة بما يبطلها من المن والأذى ، والخسارة الأخرى هي الحرمان من الثواب؛ فالذي ينفق ليقول الناس عنه إنه ينفق ، عليه أن يعرف أن الحق يوضح لنا : أنه يعطي الأجر على قاعدة أن الذي يدفع الأجر هو من عملت له العمل، انتهى كلامه رحمه الله[2].

هذه الآيات المذكورة من سورة البقرة ذكر فيها الحزن بأنواع متعددة وقد دلت الآيات على امور عظيمة من خلالها تقوي الايمان وتبعد الاحزان حيث ان في الجنة لا يوجد احزان.

---

[1] انظر تفسير الشعراوي، الموسوعة الشاملة، ج1ص734 تفسير الآية 262 سورة البقرة

[2] ج1 ص738 الآية 264 سورة البقرة انظر تفسير الشعراوي، الموسوعة الشاملة،

الفوائد من آيات الحزن في سورة البقرة:

1- اتباع هدى الله.

2- التسليم والانقياد لله.

3- الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

4- الانفاق ابتغاء مرضات الله.

5- عدم المن في النفقة على الضعفاء.

6- الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

7- الصلاة.

8- الزكاة.

9- الصدقة.

10- العمل الصالح.

11- قراءة القرآن الكريم

الفصل الثاني: تفسير الآيات التي ذكر فيها الحزن في سورة ال عمران

الحزن في سورة ال عمران

1- قال تعالى (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) سورة ال عمران 139

تفسير الآية

والمقصود بقوله: { وَلاَ تَهِنُوا } أي لا تضعفوا، وهي أمر خاص بالمسألة البدنية؛ لأن الجراحات أنهكت الكثيرين في موقعة أُحُد لدرجة أن بعضهم أقعد، ولدرجة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقدر أن يصعد الجبل، وحمله طلحة بن عبيد الله على ظهره ليقوم، لذلك قال الحق: { وَلاَ تَهِنُوا } ، لأنك عندما تستحضر أنك مؤمن وأن الله لن يخلي بينك وبين جنود الباطل لأنك نصير للحق، والحق من الله وهو الحق لا يسلم نبيه وقومه لأعدائهم فيوم تأتي لك هذه المعاني إياك أن تضعف. والضعف هو نقصان قوة البدن.

{ وَلاَ تَحْزَنُوا } والحزن مواجيد قلبية، وهم قد حزنوا فقد مات منهم كثير. مات منهم خمسة وسبعون شهيداً، خمسة من المهاجرين، وسبعون من الأنصار، وهذه عملية صعبة وشاقة، وقد حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم على الشهداء، وغضب لمقتل حمزة – رضي الله عنه – وقال: " لن أُصاب بمثلك أبداً! وما وقفت موقفا قط أغيظ إليّ من هذا " ثم قال: " لئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم مكانك ".

فقال الحق: { وَلاَ تَحْزَنُوا }؛ لماذا؟ لأنك يجب أن تقارن الحدث بالغاية من الحدث.

صحيح أن القتل صعب وإزهاق للنفس، ولكن انظر إلى أين ذهب. وانظر ماذا خلف من بعده. أما هو فقد ذهب إلى حياة عند ربه وهي ليست كالحياة عندكم. إن الحياة عندنا لها مقاييس، والحياة عند ربنا لها مقاييس، فهل مقاييسنا أعلى من مقاييسه؟ لا، حاشا لله.

إذن فإذا نظرت إليه هو فاعلم أنه ذهب لخير مما ترك، فلا تحزن عليه بل تفرح له؛ لأنه ما دامت الغاية ستصل إلى هذه المسألة. إذن فقد قصر له مسافة الحياة، وما دامت الغاية أن يصل إلى رحمة الله وإلى حياة عند الله

بكافة معانيها، فهو سعيد بجوار ربه، ونحن في الغايات الدنيوية عندما نريد أن نذهب إلى مكان نُسرّ ممن يعجل لنا الزمن لنصل إلى هذا المكان.

فبدلاً من أن أذهب إلى الإسكندرية ماشياً أذهب راكباً حصاناً أو أذهب راكباً سيارة، والمترفه يذهب راكباً طائرة، فإذا كانت الغاية مرجوَّة ومحبّبة إلى النفس، وبعد ذلك يجيء لك حدث يقرب لك المسافة من الغاية، فلماذا تحزن إذن؟ لقد استشهد. إياك أن تقول: إنّ الله حرمني قوته في نصرة الحق، لا. هو أعطى قوة أخرى لكثير من خلقه نصر بهم الحق، إنك عندما تعرف أن إنساناً باع نفسه لله، لا بد أن تعرف أن الغاية عظيمة؛ ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم في معركة بدر، يقدم أهله؛ لأنه يعرف أنه إن قُتل واحد منهم إلى أين سيذهب، إذن فهو يحب أهله، لكنه يحبهم الحب الكبير، والناس تحب أهلها هنا أيضاً لكن الحب الدنيوي.

} وَلاَ تَحْزَنُوا { على ما فاتكم من الغنائم أو لا تحزنوا على ما فاتكم من النصر لماذا؟ وتأتي الإجابة، } وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ {.. ولذلك جاء مصداق ذلك حينما نادى أبو سفيان فقال: " اعل هبل " أي أن إلههم صار عالياً، فقال الرسول لأصحابه: ألا تردون عليهم؟، قالوا: بماذا نرد قال: قولوا لهم: الله أعلى وأجلّ فقال أبو سفيان: " لنا العزى ولا عزى لكم " ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أجيبوه " قالوا: ما نقول؟ قال: " قولوا الله مولانا لا مولى لكم " ثم قال أبو سفيان: إن موعدكم " بدر " العام المقبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه: " قل نعم هو بيننا وبينك موعد "

فـ } وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ { فما دمتم على الإيمان فأنتم الأعلون، وإذا أردتم أن تعرفوا معنى " الأعلون " حقاً، فقارنوا معركة " أُحُد " بمعركة " بدر " ، هم قتلوا منكم في أُحُد، وأنتم قتلتم منهم في بدر. ولكنكم أسرتم منهم في بدر، ولم يأسروا منكم أحداً في " أُحُد ". وأنتم غنمتم في بدر، ولم يغنموا شيئاً في أُحُد.

وأنتم الأعلون لأن الله حمى مدينتكم مع أنه لا محامية فيها ممن يكون فيه معنى الجندية. كل ذلك وأنتم الأعلون، هذا إذا نظرنا إلى معركة بمعركة. وإن نظرنا إلى المعركة نفسها " أُحُد " وندع بدراً وحدها، في ظل قوله تعالى: { وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ } لقد ثبتت تلك القضية لأنكم حينما كنتم مؤمنين – ومن شرط الإيمان اتباع أمر الذي لا ينطق عن الهوى – انتصرتم. وانتصرتم انتصاراً رائعا؛ لأنكم قتلتم في أول جولة للحرب

بضعاً وعشرين من صناديدهم وفيهم صاحب الراية. ولكنكم حينما خالفتم أمرالنبي صلى الله عليه وسلم، تلخلخ الإيمان في قلوبكم.

إذن فالعملية التي حدثت تؤكد صدق { وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }. فأنتم علوتم في أول الأمر، وعندما خالفتم الأمر صار لكم ما صار؛ فقد صدقت القضية في قول الله: } وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ {.

وأيضا فإنكم لو نظرتم إلى المعركة نفسها لوجدتم أن عدوّكم لم يبق في أرض المعركة، بل أنتم الذين بقيتم في موضع المعركة. وأين ذهب هو؟ أذهب إلى موقع آخر ينال فيه غلبة ونصرا؟ لم يكن هناك إلا المدينة، والمدينة ليس فيها أحد، ولم يذهب عدوكم إلى هناك، وإنما ذهب ناحية مكة، إذن فهو الذي هرب.

وبعد ذلك ماذا حدث؟ ألم يؤذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس ويطلب العدوّ مرهباً له ليظنوا به القوة، وإن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم؟

ولقد خرج رسول الله، مع من؟ أجاء بحامية لم تشهد المعركة؟ لا.

بل قال عليه الصلاة والسلام مناديا المسلمين: " إليّ عباد الله " ، فالذين شهدوا المعركة سبعمائة، جرح منهم الكثير وقتل منهم خمسة وسبعون، فمنهم حمزة، ومصعب بن عمير، وعبد الله بن جحش، وشماس بن عثمان، وسعد مولى عتبة، هؤلاء خمسة من المهاجرين، والباقي من الأنصار، هؤلاء مطروحون من العدد الذي شاهد أول الموقعة،حتى أن رسول الله لم يأخذ بدلاً منهم من المدينة من القوم الذين عرضوا أنفسهم ليكونوا مع الجيش الذي يطارد قريشاً، بل آثر الرسول أن يذهب بمن ذهب معه إلى المعركة أنفسهم، ولم يكن منهم بطبيعة الحال الشهداء أو الجرحى.

لم يقبل الرسول صلى الله عليه وسلم ممن لم يشهد المعركة إلا واحداً. وهو سيدنا جابر بن عبد الله. الذي لم يخرج في معركة أُحُد واعتذر إلى رسول الله بأن أباه عبد الله بن عمرو بن حرام قد خلّفه على بنات له سبع وقال له:

يا بنيّ إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رَجَل فيهن ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي فتخلّفْ على أخواتك فتخلف عليهن فقبل رسول الله عذره، وأذن له فخرج معه وطاردهم رسول الله ومن معه إلى حمراء الأسد، أما والده عبد الله بن عمرو فقد استشهد في أحُد ومع ذلك فقد طلب من رسول الله على الرغم من استشهاد أبيه أن يخرج إلى حمراء الأسد. وذلك لنعلم أن الله يقول:{ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ }[المدثر: 31]

هذا وإن واحداً من المشركين الذين كانوا موضع سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حلفائه وهو معبد الخزاعي، مَرَّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أُحد وقال له: يا محمد: أما والله لقد عز علينا ما أصابك، ثم لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال له أبو سفيان: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله، ولم يزل بهم حتى ثنى أبا سفيان ومن معه فولوا وجوههم إلى مكة خائفين مسرعين، وقد ذهب رسول الله إلى حمراء الأسد فلم يجد أحداً فعسكر رسول الله ثلاثة أيام هناك، ومعنى ذلك أنهم هم الذين فروا من المعركة. إذن فأنتم الأعلون، ولكن لا حظوا الشرط (((إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ))).انتهى كلامه رحمه الله[1].

في هذه الآية يرفع الله من شأن عباد الله المجاهدين بان لا يحزنوا من اجل هزيمتهم وكثرة الشهداء والجرحى فيهم، فالنصر لهم بتمسكهم بالإيمان واتباع اوامر الرسول صلى الله عليه وسلم.

2- قال تعالى((وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ(152) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)(153)سورة ال عمران

تفسير الآية

ونعرف أن في { صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ } مفعولين: الأول هو ضمير المخاطبين في قوله: { صَدَقَكُمُ } ، والثاني هو قوله " وَعْد " المضاف إلى الضمير العائد على لفظ الجلالة " الله " فهو – سبحانه – قد أحدث وعداً، والواقع جاء على وفق ما وعد. لقد قال الحق:{ إِن تَنصُرُواْ اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }[محمد: 7] وقال سبحانه:{ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ }[الصافات: 173]

[1] انظر تفسير الشعراوي، الموسوعة الشاملة،ج1ص1201 تفسير الآية 139 سورة ال عمران

والآيتان تؤكدان قضية وعدية، بعد ذلك جاء التطبيق العملي.. فهل وقع الوعد أو لم يقع؟ لقد وقع، ومتى؟ فهل يشير الحق في هذه الآية إلى موقعة بدر؟

{ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ }. و { تَحُسُّونَهُمْ } أي تُذهبون الحس منهم، والحس: هو الحواس الخمس، ومعنى أذهبت حسه يعني أفقدته تلك الحواس. { إِذْ تَحُسُّونَهُمْ } وقد حدث، وتمكنتم منهم؛ تقتلونهم وتأسرونهم، أو الحس: هو الصوت الذي يخرج من الإنسان، وما دام فقد الحس يعني انتهى، { إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ } فحينما صدقتم لقاءكم لعدوكم على منهج الله صدق الله وعده؛ هذا في بدر.

أما هنا في أُحد فقد جاء فيكم قوله: { حتى إِذَا فَشِلْتُمْ } أي جبنتم. { وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ } أمر الرسول { مِّن بَعْدِ مَآ أَرَاكُمْ مَّا تُحِبُّونَ } وهي الغنائم، { مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ }.

كأنه سبحانه يعطينا العبرة من معركتين: معركة فيها صدق وعد الله، وفعلا انتصرتم، وأيضا صدق وعد الله حينما تخليتم عن أمر الرسول فحدث لكم ما حدث. إذن فالمسألة مبسوطة أمامكم بالتجربة الواقعية، ليس بالكلام النظري وليس بالآيات فقط، بل بالواقع.

أو أن الأمر كله دائر في أُحد، نقول فرضا: هو يدور في أُحد ودع بدرا هذه، حينما دخلتم أيها المسلمون أول الأمر انتصرتم أم لم تنتصروا؟ لقد انتصرتم، وطلحة بن أبي طلحة الذي كان يحمل الراية للكفر قتل هو وبضعة وعشرون، الراية الكافرة قد سقطت في أول المعركة، وحامل الراية يقتل وهذا ما وضحه قوله تعالى: { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حتى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ } فجماعة تقول: لنبق في أرض المعركة، وجماعة تقول: ننسحب. ورأيتم الغنائم فحدث منكم كذا وكذا. فتأتي النكسة، ولو لم يحدث ما حدث لكان من حقكم أن تتشككوا في هذا الدين، إذن فما حدث دليل على صدق هذا الدين، وأنكم إن تخليتم عن منهج من مناهج الله فلا بد أن يكون مآلكم الفشل والخيبة والهزيمة.

{ حتى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ } ، فجماعة قالوا: نظل كما أمرنا الرسول، وجماعة قالوا: نذهب إلى الغنائم { مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ }.. وما دمتم قد تنازعتم وقالت جماعة: لنتمسك بمواقعنا، وقالت جماعة أخرى: لنذهب إلى الغنائم، إذن فالذي أراد مواصلة القتال إنما يريد الآخرة ولم تلهه الغنائم، والقسم الذي أراد الدنيا قال: لنذهب إلى الغنائم.

وفي هذه المسألة قال ابن مسعود رضي الله عنه: والله ما كنت أعلم أن أحداً من صحابة رسول الله يريد الدنيا حتى نزل فينا ما نزل يوم أُحد.

أي أنه لم يكن يتصور أن من بين الصحابة من يريد الدنيا، بل كان يظن أنهم جميعا يريدون الآخرة، فلما نزل قول الله: } مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ { عرف ابن مسعود أن من الصحابة من تتقلب به الأغيار. وذلك لا يقدح فيهم؛ لأنهم رأوا النصر، فظنوا أن المسألة انتهت؛ لقد سقطت راية الكفر، وقتل المؤمنون عددا من صناديد قريش. ولقد عفا الله عن المؤمنين وغفر لهم ما بدر منهم من مخالفة لأمر رسوله – صلى الله عليه وسلم –.

{ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ } نعم لأنكم كنتم مشغولين بقتالهم قبل أن تنظروا إلى الغنائم، فلما نظرتم إلى الغنائم اتجه نظركم إلى مطلوب دنياكم، فانصرفتم عنهم، ولم تجهزوا عليهم ولم تتم لكم هزيمتهم وقهرهم، } ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ { وابتلاؤكم في هذه الغزوة إنما هو رياضة وتدريب على المنهج، كأنهم غزوة مقصودة للابتلاء، فترون منها كل ما حدث. وبعد ذلك نجحت التجربة، فبعد هذه المعركة لم ينهزم المسلمون في معركة قط.

ولذلك يقولون: الدرس الذي يعلم النصر في الكثير لا يعتبر هزيمة في القليل. والمثال على ذلك: لنفرض أن ولداً من الأولاد رسب سنة، ثم حمل ذلة الرسوب، نجده ينال بسبب ذلك مرتبة متميزة بعد ذلك بين العشرة الأوائل،إذن فالرسوب الأول له كان خيرا.

} وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ { لأنه كان لكم وجهة نظر أيضا عندما تصورتم أن المعركة انتهت بسقوط راية الكفر ومقتل طلحة بن أبي طلحة ومقتل بعض من الصناديد في معسكر الكفر، فظننتم أن المسألة انتهت، لكن كان يجب أن تذكروا أن الرسول قال لكم: اثبتوا في مراكزكم وأماكنكم حتى لو رأيتمونا نتبع القوم إلى مكة، ولو رأيتموهم يدخلون المدينة.

أيوجد تحذير أكثر من ذلك!؟ { وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } وسبحانه جل وعلا لم يخرجهم من الحظيرة الإيمانية بهذا القول الحكيم. ويقول الحق من بعد ذلك: { إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ على أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ... }

{ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ على أَحَدٍ } هنا جاء لهم بلقطة من المعركة، حتى إذا سمع كل واحد منهم هذا الكلام يستحضر الصورة المخزية التي ما كان يصح أن تحدث، { إِذْ تُصْعِدُونَ } ، فيه " تَصْعد " ، وفيه " تُصعِد "

وهنا { تُصْعِدُون } من " أَصْعَد " ، و " أَصعد " أي ذهب في الصعيد، والصعيد الأرض المستوية حتى تعينه على سرعة الفِرار. إنما " صَعِدَ " تحتاج إلى أن يكون هناك مكان عالٍ يصعدون إليه. وهم ساعة أرادوا أن يفروا جَرَوْا إلى الأرض السهلة ومَشَوا، فكل منهم لا يريد أن يتعثر هنا أو هناك، إذن فالمناسب لها { إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ على أحَدٍ } والفار لا ينظر هنا أو هناك؛ ليس أمامه إلا الأرض السهلة.

{ وَلاَ تَلْوُونَ على أحَدٍ } أي لا تعرجون على شيء، والأهم من ذلك أن هناك تنبيها من القائد الأعظم وهو الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يدعوكم " والرسول يدعوكم في أخراكم " أي يناديكم من مؤخرتكم طالبا منكم العودة إلى ميدان القتال " فأثابكم غما بغم ". أنتم غَمَمْتُم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنكم خالفتم أوامره، فوقفكم الله هذا الموقف.

كلمة { فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ } كأنه يقول: عاقبكم. ولكنه سبحانه يأتي بها مغلفة بحنان الألوهية { فَأَثَابَكُمْ }. إذن فهي ثواب.. أي أن الحق سبحانه وتعالى بربوبيته وبألوهيته؛ يعلم أن هؤلاء مؤمنون فلم يَقْسُ عليهم، قال: { فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ } فكأن ما حدث لكم تخليص حق.

{ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ على مَا فَاتَكُمْ } ولو لم تحدث مسألة الحزن والحزي والذلة لشغلتكم مسألة أنكم فاتتكم الغنائم والنصر، ولظل بالكم في الغنائم؛ لأنها هي السبب في هذا. كأن الغم الذي حدث إنما جاء ليخرج من قلبكم لقطة سيل اللعاب على الغنيمة. وما أصابكم من القتل والهزيمة، { فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ على مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَآ أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } أي أنه سبحانه يقدر ما الذي استولى عليكم، لأن من الجائز { وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ } أنهم لم يسمعوا النداء من هول المعركة، { وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } وهو سبحانه خبير بكل فعل وإحساس. انتهى كلامه رحمه الله[1]

نستفيد من هذه الآيات إن الله يغفر ويعفو فيجب علينا التوبة لله من كل الذنوب، ولنا درس في مخالفة المجاهدين امر الرسول صلى الله عليه وسلم وفشلوا فمن خالف امر الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به فسيخسر ويفشل ويحزن ويأتيه الهم من كل مكان.

[1] انظر تفسير الشعراوي، الموسوعة الشاملة، ج1ص1235-1237 تفسير الآية 152-153 سورة ال عمران

3- قال تعالى (فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171)ال عمران 171-170

تفسير الآية

والعدل يتحقق بين البشر بأن كلا منهم يموت . ولكن الفضل أن يعجل الله انقضاء الحياة في الدنيا لمن يُحبهم بالاستشهاد وينقلهم إلى رضوانه ونعيمه { فَرِحِينَ بِمَآ آتَاهُمُ الله مِن فَضْلِهِ } وليس هذا فقط ، بل إننا نجد الأخوة الإيمانية قد بقيت فيهم وليست كخاصية الأحياء بل أنقى وأبقى من خاصية الأحياء ، فالخاصية الإيمانية تقتضي أن يُحب المؤمن لأخيه ما يُحب لنفسه ، والشهداء في حياتهم عند ربهم كذلك ، مما يدل على أن الحياة التي يحياها الشهداء هي حياة نامية فيها رزق ومواجيد وفرح ، وكل شهيد يعتبر أن هذا فضل من الله قد فضله به . ولذلك فالشهيد يستبشر بالذي لم يأت من بعده من إخوانه المؤمنين ويقول : يا ليتهم يأتون ليروا ما نراه .

{ وَيَسْتَبْشِرُونَ بالذين لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم } : { وَيَسْتَبْشِرُونَ } من البُشرى ، والبشرى هي الخبر السّار { وَيَسْتَبْشِرُونَ بالذين لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم } ويلحقوا أي يأتوا بعدهم ، فالشهداء يقولون : إنهم سيأتون لنا وما داموا سيأتون لنا فنحن نُحب أن يكونوا معنا في النعيم والخير الذي نحيا فيه . وكل منهم يشعر بالمحبة لأخيه ، لأنه يعلم قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يكمل إيمان أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يُحب لنفسه » . وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن فضلهم قالوا : ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا من الحرب . فقال الله – عز وجل – : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله هذه الآيات : { وَلاَ تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } وما بعدها .

ونعرف أن » البِشْرَ « عادة هو الفرحة ، وهي تبدو عَلَى بشَرة الإنسان ، فساعة يكون الإنسان فرحا ، فالفرحة تظهر وتُشرق في وجهه ولذلك نُسميها » البشارة « ، لأنها تصنع في وجه المبشَّر شيئا من الفرح مما يعطيه بريقا ولمعانا وجاذبية .

{ وَيَسْتَبْشِرُونَ بالذين لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } أي أن الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ، فهؤلاء الذين لم يستشهدوا بعد قد يخوضون معركة ما ، فيقول الحق على لسان الشهداء لكل منهم : لا تخف لأنك ستذهب لخير في الحياة { أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } .

وبعد ذلك يقول الحق : { يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ الله وَفَضْلٍ . . . }

إن الحق سبحانه لا يضيع أجر هؤلاء الذين قاتلوا في سبيل الله .انتهى كلامه رحمه الله[1].

هذه بشرى من الله لمن يجاهد في سبيله ويستشهد في القتال من اجل رفع راية لا اله الا الله والذود عن الاسلام والمسلمين فلهم البشرى من الله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لأنهم شهداء عند الله.

4- قال تعالى (وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) سورة ال عمران 176

تفسير الآية

لقد كان المنافقون في أول المعركة مُختفين ومستورين ، ثم ظهرت منهم بادرة الانخذال في أُحُد فكانوا أقرب إلى الكفر منهم إلى الإيمان ، ولكنهم من بعد ذلك سارعوا إلى الكفر ، فكأن هناك من يلاحقهم بسوط ليتسابقوا إلى الكفر .

وها هو ذا الحق سبحانه قد حدّد عناصر المعركة ، أو قوى المعركة ، أو ميدان المعركة أو جنود المعركة فينبه رسوله : { وَلاَ يَحْزُنكَ الذين يُسَارِعُونَ فِي الكفر } ولم يقل : لن يضروكم شيئا؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم

[1] انظر تفسير الشعراوي، الموسوعة الشاملة،ج1ص1275 تفسير الآية 170-171 سورة ال عمران

وصحابته المؤمنين ليسوا طرفاً في المسألة ، فعداء الذين يسارعون في الكفر هو عداء لله؛ لذلك يقول الحق : { إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ الله شَيْئاً } . كأن المعركة ليست مع المؤمنين . ولكنها معركة الكافرين مع الله ، وما دامت المعركة مع الله فالمؤمنون جند الله؛ وهم الصورة التي أرادها الله لهزيمة الكافرين : { قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ الله بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ } [التوبة : 14].

فلو كانت معركة الكفر مع المؤمنين بالله فقط لقال الله : ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروكم شيئا ، لكن المسألة ليست هكذا ، لقد أراد معسكر الكفر والنفاق أن يدخل معركة مع الله ، ولا توجد قوة قادرة على ذلك ، ولهذا يطمئن الله المؤمنين أكثر ، ليزدادوا ثباتاً على الإيمان؛ لأن الكل من البشر مؤمنين وكفاراً أغيار ، وقد يتحول بعض من البشر المؤمنين الأغيار عن المنهج قليلاً ،

فعندما تكون المعركة بين بشر وبشر فقد يغلب أحد الطرفين بقوته ومن أجل المزيد من الاطمئنان الكامل نقل الله المعركة مع الكفر إلى مسألة أخرى ، إنه بجلاله وكماله وجبروته هو الذي يقف ضد معسكر الكفار . والمهم فقط أن يظل المؤمنون في حضانة الله . والرسول كان يحزنه أن يُسارع البعض إلى الكفر . فهل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلم أنه إنما جاء مُبلّغًا فقط؟ . إنه يعلم ولكنه كان يحرص – صلى الله عليه وسلم – على أن يؤمن الناس جميعاً ليذوقوا حلاوة ما جاء به ، هذا الحرص هو الذي يدفع الحُزن إلى قلب الرسول ، وعندما يرى واحداً لا يتذوق حلاوة المنهج ، فالرسول يأمل أن يذوق الناس كلهم حلاوة الإيمان؛ لأنه صلى الله عليه وسلم رءوف رحيم بالمؤمنين ، بل وبالناس جميعا { وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } ودليل ذلك أن جاءه التخيير . «أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ فَقَالَ « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِى عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ فَلَمْ يُجِبْنِى إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِى فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِى فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِى فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِى فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ قَالَ فَنَادَانِى مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَىَّ. ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِى رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِى بِأَمْرِكَ فَمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ ». فَقَالَ لَهُ

رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا »رواه مسلم[1].انتهى كلامه رحمه الله[2].

الاستفادة من الآيات :

1- طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما امر به والانتهاء عما نهى عنه وهذا ليس لأهل معركة احد وانما للناس كافة حتى يومنا هذا.

2- البشرى من الله للمؤمنين بانهم منصورون.

3- البشرى للشهداء حتى انهم يتمنون ان يلحق بهم بقية المجاهدين ليروا النعيم.

4- عدم الحزن على الكفار وعدم استجابتهم للدعوة لان مصيرهم العذاب.

[1] انظر صحيح مسلم مشكول وموافق للمطبوع، الموسوعة الشاملة، باب ملقي النبي صلى الله عليه وسلم من اذى المشركين رقم الحديث 4754 ج5ص181

[2] ج1ص1284 تفسير الآية 176 سورة ال عمران انظر تفسير الشعراوي، الموسوعة الشاملة،

الباب الثالث

علاج الحزن من السنة النبوية

الجدير بالذكر هنا إن في القرآن والسنة الوقاية والعلاج لحالات الحزن والاكتئاب ، وخاصة ما كان منها لأسباب خارجية ، وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده إذ أنه سبحانه وتعالى جعل القرآن شفاءً ورحمة للمؤمنين ، وما عليهم سوى العودة إليه وإلى سنة المصطفى ليفوزوا بالسعادة والراحة في الدارين.

وفى عقيدتنا نحن المسلمين في القضاء والقدر تمنعنا من الحزن الشديد ففي الحديث الذي يعلمنا فيه نبينا صلى الله عليه وسلم عندما كان يرافقه حبر هذه الامة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ويلقنه كلمات له ولكل الامة عامة فإليك الحديث:

(حدثنا عبد الله حدثني أبى ثنا يونس ثنا ليث عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن عبد الله بن عباس انه حدثه انه ركب خلف رسول الله صلى الله عليه و سلم يوما فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم يا غلام إني معلمك كلمات : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فلتسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الأمة لو اجتمعوا على ان ينفعوك لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف)[1]

فعندما يعلم الإنسان أن الأمور مفروغ منها ومكتوبة ، فإنه لا يحزن ، وكيف يحزن وهو يعلم بأن هؤلاء البشر الذين حوله لا يستطيعون أن يضروه ولا أن ينفعوه إلا بقدر الله ؟ فلم القلق إذن ، ولم الحزن الشديد.

[1] انظر مسند احمد بن حنبل، الموسوعة الشاملة، باب مسند عبدالله بن العباس رقم الحديث2269 ج1ص293

و عن أنس رضي اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال :اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، وأنت تجعل الحزن سهلا إذا شئت)[1]

ومعناه: أن كل شيء لا يجعله الله سهلا للإنسان فإنه لن يكون سهلاً له لأن اليسير ما يسره الله عز وجل والحزن أي الشديد العسير إذا أراد الله عز وجل جعله سهلاً يسيراً كما أن اليسير إذا شاء الله تعالى جعله صعباً عسيراً لأن الأمور كلها بيد الله عز وجل ومضمون هذا الدعاء أن الإنسان يسأل الله أن ييسر له الأمور العسيرة.

وما اصاب عبدا قط هم ولا حزن فقال هذا الحديث (حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، عَن فُضَيْلِ بْنِ مَرْزُوقٍ قَالَ : حدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ الْجُهَنِيُّ ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ ، أَوْ حَزَنٌ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُك ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِي حُكْمُك عَدْلٌ فِي قَضَاؤُك ، أَسْأَلُك بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْت بِهِ نَفْسَك ، أَوْ أَنْزَلْته فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْته أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَو اسْتَأْثَرْت بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلاَّ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هؤلاء الْكَلِمَاتِ ؟ قَالَ : أَجَلْ ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ)[2].

وبذلك نكون قد انتهينا بحمد الله وفضله وكرمه من الكلام عن تفسير آيات من القران الكريم في مواضيع الحزن فلله الحمد والمنة والفضل في الاولى والاخرة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[1] انظر صحيح ابن حبان بتحقيق الارناؤوط، الموسوعة الشاملة، مطابق باب الادعية رقم الحديث974 ج3ص255

[2] مصنف ابن ابي شيبة، الموسوعة الشاملة، باب 25-ماقالوا في الرجل ما يدعوا به اذا اصابه هم او حزن رقم الحديث29930 ج1ص253

الخاتمة

إن هذا البحث المتواضع جدا والمبسط اردنا منه تبيين الحزن ومعرفته والتوجيه القرآني لعدم الحزن بتفسير بعض الآيات التي ورد فيها الحزن و ليلعلم الجميع ان الجنة دار النعيم لا حزن فيها ولا نصب ولا تعب قال الله تعالى (- وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) **فاطر 34**

اللهم اجعلنا من الصابرين المحتسبين من اهل دار النعيم واجمعنا بالنبيين والصديقين في جنات الفردوس.

واخيرا فما كان من توفيق فمن الله وما كان من خطأ او زلل او نسيان فمنى ومن الشيطان والله ورسوله منه براء.

سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت أستغفرك واتوب اليك.

الفقير لعفو ربه

عمرو بن نافع بن مطر العمري الحربي

المدينـــــة المنـــــورة

الموافق 13-02-1434

2012-12-26

مراجع البحث

1- القران الكريم

2- الموسوعة الشاملة

3- تفسير الشعراوي، الشيخ محمد متولي الشعراوي، مطابع اليوم، الموسوعة الشاملة.

4- كتاب التفسير الموضوعي جامعة المدينة العالمية

5- كتاب مناهج البحث جامعة المدينة العالمية

6- الدرر السنية

7- دليل كتابة البحوث في نظام عليم

8- سنن الترمذي- شاكر +الباني ،الموسوعة الشاملة

9- صحيح مسلم مشكول وموافق للمطبوع، الموسوعة الشاملة

10- مسند احمد بن حنبل، الموسوعة الشاملة

11- صحيح ابن حبان بتحقيق الارناؤوط، الموسوعة الشاملة

12- مصنف ابن ابي شيبة، الموسوعة الشاملة

13- صحيح البخاري حسب ترقيم فتح الباري، الموسوعة الشاملة

14- المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات، الموسوعة الشاملة

15-عمل اليوم والليلة للنسائي، الموسوعة الشاملة

16-ابنفارس، أبوالحسينأحمدبنفارس: معجممقاييساللغة. 6مج. تحقيقوضبط : عبدالسلام محمدهارون. ط: 2. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاد1971هـ

17- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. 6مج .وضع حواشيه :عبداللطيف عبدالرحمن.ط: 1.بيروت:دار الكتاب العربي. 1999

18-الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. 7مج. تحقيق: أحمدعبد .الغفار عطار. ط: 2. بيروت: دار العلم للملايين. 1979

19-الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر: مختار الصحاح . ط: 1. بيروت . دارالكتاب العربي. 1979.

20-رضا، محمدرشيد: تفسيرالقرآنالحكيم . 12 مج. ط: 2. بيروت:دارالفكر. بلاتاريخ

21-الزحيلي، أ.د. وهبة : التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج . 15 مج . ط : 1 بيروت، دمشق: دارالفكرالمعاصر، دارالفكر. 1998

22-الطبرسي، الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن. 6مج. بلاطبعة. بيروت : دار مكتبةالحياة. 1961

23-الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب : القاموس المحيط . 4مج . بلاطبعة . بيروت: دار الجيل بلا تاريخ

24-النسفي، أبو البركات عبدالله بن أحمد : مدارك التنزيل وحقائق التأويل . 2مج . بلاطبعة

بيروت: دارالمعرفةللطباعةوالنشر . بلاتاريخ

25-ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب. 15 مج. بلاطبعة. بيروت: دار صادر بلا تاريخ.

26-البستاني، بطرس: قطرالمحيط . 2مج. بلاطبعة. بيروت: مكتبةلبنان. بلاتاريخ

27- الميداني، عبدالرحمن حسن حبّنكة : معارج التفكر ودقائق التدبر . 15 مج . ط : 1. دمشق .دارالقلم. 2002

28- احمد بن علي بن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة بيروت1379.

29- ابراهيم عبدالرحيم محمد مصطفى، الانفعالات النفسية عندالأنبياء في القرآن الكريم، قدّمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس - فلسطين2009م.

30- البحث في مواقع الانترنت ومنها (الدرر السنية).

الفهرس

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	الغلاف	1
2	الاهداء	3
3	مقدمة الخطة	4
4	تقسيمات ومصادر البحث	5
5	دراسات سابقة	5
6	المقدمة	6
7	الباب الاول- الحزن	7
8	الباب الثاني-الحزن في آيات من القران الكريم	11
9	الحزن في آيات سورة البقرة	13
10	فوائد من آيات الحزن في سورة البقرة	29
11	الحزن في آيات سورة ال عمران	30
12	الباب الثالث- علاج الحزن من السنة النبوية	41
13	الخاتمة	43
14	مراجع البحث	44
15	الفهرس	47